التواصل
مجلة علمية في اللغات، العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد: 32 العدد: 03 تاريخ: جوان 2026

مفارقة تأويل الذات في واقع العبث عند بول ريكور

أنيسة عشي (*) جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها. anissa.achi@univ-tlemcen.dz

تاريخ الإيداع: 2025/05/21 **تاريخ القبول:** 2026/06/18 **تاريخ النشر:** 2026/06/30

ملخص

نهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة الذات مع بول ريكور من خلال أسلوب الحوار مع الغير في نسق فلسفته التأويلية، بغية انبثاق وعي جديد منفتح على الآخر وفق خطاب فلسفي يشكل اختلافا وتوافقا بين الذوات المتعددة، ليصبح الرهان الذي يقتضي ثبات لحظة تأمل الذات في حضرة الآخر دون إقصائه، وتكمن هذه المفارقة من الذات نفسها إلى انفتاحها على غيرها في خضم التعددية الثقافية، بغية تحقيق تعايش سلمي دائم في الرهان العبثي للخروج من التحديات الراديكالية.

الكلمات المفاتيح: ذات، آخر، تأويل، مفارقة، عبث، تعايش.

The paradox of self-interpretation in Paul Recor's reality of the absurd

Abstract

Through this research paper, we aim to study the self with Paul Recor through the method of dialogue with others in the style of his interpretive philosophy, with the aim of emerging a new awareness that is open to others according to a philosophical discourse that constitutes difference and agreement between multiple selves, so that it becomes the bet that requires the stability of the moment of self-reflection in the presence of The other without excluding him, and this paradox lies from the self itself to its openness to others in the midst of cultural pluralism In order to achieve lasting peaceful coexistence in the absurd bet of getting out of radical challenges.

Keywords: Self, other, interpretation, paradox, tinker, coexistence.

* **المؤلف المرسل:** أنيسة عشي، brillenteletoile@gmail.com

الرقم التسلسلي للمعيار الدولي (ISSN): 1111-4932، الرقم (EISSN): 2352-9865

توطئة (مقدّمة):

تعتبر الذات بمثابة النقطة الأرخميديّة التي شيّد بها بول ريكور Paul Ricœur (1913-2005) صرحه الهرمونيطيقي، القائم على أساس إعادة بناء الذات على نحو توفيقي، فالذات مقابل الآخر توحي بالتمايز والاختلاف، فتتضمن بذلك لبسا على المستوى الدلالي، ولأنها تابعة وخاضعة للآخر في الكثير من الحالات، أضحت بذلك الحرية الأخلاقية مفارقة، في حين وجود الآخر يتسم أيضا بالمفارقة.

كما أن عملية الفهم مرتبطة بالتأويل في شكل حوار بين الذات والآخر، وهو سيان ما يشير إليه ريكور في اعتباره أن الغاية الإيتيقية للإنسان تكمن في العيش مع الآخر ومن أجله داخل مؤسسات عادلة، وبما أن وجود العالم مقترن بوجود ذات تفهمه وتعيه، فهذا يستدعي نوعا آخر من الأنا موضعه في العالم تجسد وانخراط وقصد، فضلا عن التواصل الرمزي، الأمر الذي يستدعي ضرورة ملحّة لاقتران ثنائية الأنا والآخر بغية ضمان سيرورتها في الوجود لبلوغ براديغم التواصل التفاعلي، من أجل تجاوز مركزية الأنا وفلسفة الوعي.

يمكن القول إن مشروع "ريكور" يكمن بالأساس حول مفهوم الذات الإنسانية، ويتضح ذلك في مباحثه حول جدلية الذات والآخر، بحيث الذات دائما تحاول اكتشاف ذاتها في حين تدرك أن الآخر يسعى بدوره إلى تحديد هويتها، لتتجاوز بذلك الأنا التي قال بها ديكارت والعقل الذي أكد عليه كانـط نحو تأويلية ريكورية ليست مقتصرة على فهم النصوص والحياة فحسب، بل تتعدى ذلك إلى محاولة فهم الذات لذاتها ثم لغيرها.

فأثناء عملية التأكيد وكذا العلامات الموجودة ضمن النصوص، وفهم الذات يشترط وجود وسيط لغوي ورمزي، لأن تأويل النص وفهمه يتسنى للذات معرفة حقيقتها، إذ الفهم حسب ريكور يظهر فيه الآخر كطرف مقابل للذات، فيمثل النقيض المرتبط أساسا بالاختلاف ويخرج عن حدود الفرد، فتتحدد بذلك معالم الذات ضمن دائرة العلاقات مع الآخرين والعالم الخارجي. بحيث تأخذ الذات موقعها وتتجه وفق هذا السياق، لذا تعتبر المعرفة الداخلية للذات جوهرية، بحيث ينطلق الإنسان من معرفته الداخلية لذاته، فيتعامل مع أفكاره وقناعته، بالإضافة إلى تفاعله مع الآخرين والعالم الخارجي. وغالبا ما يقع الفرد هنا في مفارقة إدراك ذاته مقابل غيره، وحتى مقابل ذاته عينها، بل هذا ما وقع فيه الكثير من الفلاسفة.

ولعله أيضا الانشغال الذي أخذ حصته مع الفرنسي بول ريكور ودفع به إلى الخوض والفهم فيه، وهو سيان ما يعزز لدينا التساؤل حول مدى إمكانية إضفاء مقاربة ريكور لمفهوم الذات بخصائص مغايرة عن بقية المقاربات التي تدرج في مجال فلسفة الذات؟ وأين تكمن المفارقة التي وقع فيها ريكور عند معالجته لتأويل الذات في خضم الرهان العبثي الذي تعايشه؟

كما تنصب أهمية هذه الدراسة الفلسفية على قراءة بعض المبادئ الايتيقية التي عالجها ريكور من خلال انهمامه حول الذات وتسليط الضوء على مقاصدها اتجاه الآخر، أي إدراك تلك المفارقات التي وقع فيها بعض الفلاسفة في معالجة علاقة الأنا بالآخر ومقاربتها فلسفيا مع المفارقة الريكورية، وذلك في خضم التعددية الثقافية وما تفرزه من تنوع ثقافي وصراع إيديولوجي الذي تشهده الفترة المعاصرة على مختلف الأصعدة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بغية التعرف على طرق تعامل الذات الإنسانية مع نفسها ومع غيرها، ومن ثم الكشف عن مدى المفارقة التي تقع فيها في ظل الواقع العبثي الذي تعايشه، وذلك حسب المنظور الريكوري.

1- الذات في مفهوم بول ريكور:

إنّ الحديث عن مفهوم الذات عند "بول ريكور" منطلق أساسي لإعادة صياغته ضد كل التيارات الفكرية التقويضية والتفكيكية، التي هيمنت على الفكر الفلسفي الفرانكوفوني بداية من "ديكارت" Descarte (1696–1750)، الذي خاض البدء من مقاربة ذات سبيل مباشر للأنا، التي تعتبر أن لها قدرة النفوذ إلى أعماق الطبيعة البشرية، كما تؤمن بقدرتها على تأسيس يقين العلم الحديث، وهو ما تم الإشارة إليه في مؤلف ديكارت بعنوان "تأملات ميتافيزيقية". فضلا عن تعظيمها من طرف فينومينولوجيا "هوسرل" Huserl (1859–1938)، إلا أن هذا التعظيم لم يلبث طويلا حتى تصدى له الكثير من الفلاسفة بانتقادات لاذعة، أمثال "دريدا" Derrida (1930–2004)، و"فوكو" Foucault (1926–1984)، اللذيْنِ أعلنا عن موت الذات، وكذا "نيتشه" Nietzsche (1844–1900) في سعيه لتقويض الكوجيتو الديكارتي بغية انتصاره لملذات الحياة وغرائزها (حسن، 1992: ص 13). لتصبح بذلك الذات بين المطرقة والسندان، بين التعظيم والتحطيم، مما جعل ريكور يتخذ موقفا مخالفا لما تم تداوله، بحيث لم يشاطر موت الذات ولم يوافق على مركزيتها، نظرا لتناول مفهوم الذات في معظم العلوم، ومن جهة أخرى كانت دراسته للذات مغايرة لهم، هنا نلتمس مقاربته للمفاهيم. يعتمد "ريكور" في فكره الفلسفي على ما يسميه Détour مما يعني الدورة (الالتفاف)، التي تعتبر أن التوجه المباشر لم يعد ممكنا في مقاربة أي موضوع على نحو دقيق أكثر، مما استدعت ضرورة تناول مواضيع الفلاسفة السابقين له، وهو ما سمّاه بالالتفاف حول المواضيع السالفة وإن كان ذلك بطريقة مغايرة، بحيث حتى لو لم يستطعْ الإمساك بذاته على نحو مباشر وواضح وكان التأمل ليس بحدس باطني للذات، إلا أنه يكون ملزما باستمرار بفك رموز مختلف تعبيرات إنتاجه الفكري بغية إدراك من تكون ذاته حقا (حسن، 1992: ص 13).

يؤكد ريكور في كتابه "الذات عينها كآخر" على الدور المهم لأولوية التأمل للوضع المباشر للذات إذ يعبر عنها بصيغة المفرد "أنا". أي ثبات متعلق بإشكالية الذات في نظر ريكور يمكن بلوغه عبر مسارات تجعل من الآخر المحور الأساسي لفهم وبيان قدرات الذات، وهو ما يسمّى بالمقاربة الهرمينوطيقية للذات (Ricoeur, 1990: p. 11).

هذا وقد حدد بول ريكور مفهوم الذات بالتقابل بين الهوية الذاتية بمعنى Ipsé، والهوية بمعنى Idem (المطابقة/العينية)، وتعني بدورها إمكانية تحديد هوية موضوع ما من خلال ديمومة الزمان، نظرا لعدم إذعانها للتغيرات الطارئة عليه، كمبدأ الهوية الذي يتجلى في معناه المنطقي بمقصد أن "أ" تبقي هي "أ". (الورفي، 2009: ص 30).

1-1- علاقة الهوية بالذات عند ريكور:

يعتبر الفكر الفلسفي كرونولوجيا تاريخ الهوية بالمفهوم الآخر، في حين تم إغفال مفهومها ومعناها الأول، ولعل من ضمن الأوائل الذين تناولوا معالجة هذا المشكل المتعلق بالهوية في معناها المزدوج، وقد تم التطرق إليه في أواخر الجزء الثالث من كتاب "الزمن والسرد أو ما يعرف بالزمان المروي" مع ريكور، لذا كان التمييز في المدونة الريكورية فيما يتعلق بمسألة الهوية بين اعتبار أن الهوية جوهر تقوم به الذات وتحافظ عليه أنطولوجيا الحياة إلى أن يحين الفناء، وبين اعتبارها انتماء إلى عالم الأشياء والرموز وما يحكمها من ليونة ومرونة

الرقم التسلسلي للمعيار الدولي (ISSN): 1111-4932، الرقم (EISSN): 2352-9865

واستمرارية في التغير، ممّا يعني أنها ليست نافية لذاتيتها، لذا فالتهميش والتظليل الذي تم اضفاءه على الهوية الذاتية بمعنى ipse مما جعل ريكور يقول: "أطروحتنا الثابتة ستكون هي كون الهوية الذاتية بمعنى "ipse" وبالتالي ليس لها أن تقتضي ضمنيا، أي هناك تأكيد فيما يتعلق بنواة ليس لها أن تغير في الشخصية" (Ricoeur، 1990: ص 13). فعدم ثبات الهوية يجعل من الذات تدخل في علاقات تأثير وتأثر سواء مع الذات عينها أو مع الذوات المتعددة الأخرى، ولعل مؤلفه الشهير الذي جاء بعنوان "الذات عينها كآخر" يوضح مدى مرونة الهوية الذاتية، إذ يعبّر عن ذلك في قوله: "الذات عينها كآخر يوحي في بدايته بأن ذاتية الذات عينها تكتنف ضمنيا الغيرية إلى درجة حميمية لذا ليس بالإمكان التفكير في الواحدة من دون الأخرى من أجل تفادي إحداث مقارنة الذات عينها كشبيهة بالآخر وذلك بهدف تضمين الذات عينها بما هي آخر (ريكور، 2005: ص 72).

من هنا أصبح حضور الآخر يلازم الذات أينما حلّت وارتحلت، هذا ما جعل ريكور يعزم على استحضار الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة الذاتية، خاصة من سعى إلى تغييب فاعلية الذات أو إلى إقصاء تأثير الآخر عن مقاربته، فالمعالجة في نظره تنحصر بين ضعف وقوة الكوجيتو. أما التعبير عن فلسفات الذات الفاعلة فيعني بها التعبير عن فلسفات الكوجيتو، بهذا يتضح أن ضجة الكوجيتو قد تكون الأنا الفاعلة في موضع القوة وتارة تحاكي موضع الضعف، وهو ما يعزز التساؤل منذ الوهلة الأولى عن إشكالية الذات، لأن هيرمينوطيقا الذات تقوم على رفع واستقصاء الكوجيتو وعلى مهاجمته ودحضه في آن واحد (ريكور، 2005: ص 73).

بمعنى ريكور خضع لمقاربة تأويلية من أجل فك شفرات كل ما هو مستتر في ثنايا النصوص الفلسفية التي كانت عبارة عن بوادر الانطلاق لفلسفات الذات، وبين التي حاولت التصدي لها، ولعلها النقطة الأرخميدية التي دفعت إلى الانشغال بإشكالية الذات، وحاول فيها ريكور إحداث مقاربة تأويلية للذات من شأنها أن تتجاوز كل المقاربات ذات الجانب الأحادي، بمعنى التي تكون مع أو ضد الكوجيتو الديكارتي وتبعاته، لأن ديكارت أرغم الأنا على الانعزال والانغلاق وحصر الفكر بين ثنايا ذاته، وكأن الذات معه أصبحت تعيش أسطورة داخلية في فضاء نفسها كما جاء في تعبير جاك "بوفريس" (1940) ضمن كتابه الشهير أسطورة الدواخل « le Mythe de l'intériorité»، لذا أصبح هناك ضرورة ملحّة تسعى لتوضيح الإخفاقات التي حالت دون إبراز ذات فاعلة تتمتع بالقدرة والمسؤولية، وهذا طبعا لن يكون إلا إذا تم أخذ الآراء المتعارضة التي تظهرها فلسفات الذات على محمل الجد، لأن التوجه الريكوري يأخذ منحى مساره صوب الفلسفات التأملية المستلهمة من الكوجيتو الديكارتي .(Descartes: p. 26)

إن مفهوم الذات يتماشى مع جميع الأحكام النحوية "القلق الذاتي"، لذا التساؤل حولها كثيرا ما يتوافق مع الردود التي تشمل معنى مفهوم الذات، في حين تستثني طبيعتها التفكيرية بداهة وتجعل من المعقول في تحالف معين بين الفلسفة التأملية والفلسفة التحليلية. كما أن الانعكاس الذي كان من شأنه أن يكون قد خضع لدمج شظايا خطابها من التحليل المقترض من هذا التقليد، الذي يعتبر سلب روائع الألقاب لهذا التصميم الذاتي للفكر الذي ينضم تحت رعاية الذات.

أما الهوية الذاتية فتوحي أن هذا المفهوم يعتريه الغموض، لأن الإشارة إلى الذات تسمح وتبدد من خلال الهوية في الوقت الملائم، فالمرء بإمكانه الخوض في الاختلاف سواء بعدم قابلية المادة التي لا تؤثر على

الرقم التسلسلي للمعيار الدولي (ISSN): 1111-4932، الرقم (EISSN): 2352-9865

التغيير، أو صيانة الذات في نموذج الوعد، فيحدث التعارض مع هذا بتجنب وتجاوز تقلبات ميولات القلب، لتنبثق الهوية السردية التي أظهرت تأرجح الهوية الشخصية بين ثبات شخصية قريبة من الهوية العينية، والحد من الدراماتيكي إلى السؤال من أنا؟

إنه الدور الأساسي لمعظم تجارب الفكر وتخميناته التي تسير وفقها السردية المعاصرة بغية تسليط الضوء على المواقف الحرجة للبعد المستقبلي الخاص بالهوية الذاتية الناتجة عن جدلية الهوية العينية والهوية الذاتية، إلا أن انشغال الفكر لديه وظيفة أخرى للتأكيد على الصلة بين المجال السردي والأخلاقي للكائن البشري في حديثه عن غموض الهوية، كما أنها احتفظت بمكانة الدور الايتيقي للهوية المتعلق بظاهرة الوعد، لكن في المقابل تحاكي الصيانة والحماية الذاتية في ظرف الوعد المنطق عند الاتصال بالوحدة السردية للحياة. فالصيانة والحماية التي تعبر عن مقاومة الانحلال الذي يذعن لها على نحو مميز في الحياة من جانبها العاطفي. إلا أن هذه القوى نفسها هي التي تكبح القدرة على إعطاء وسخاء الوحدة السردية للحياة الخاصة، وبالتالي يكون تصور الآنية فقط بالسرد والايتيقا الفردية عن طريق السبل المتنوعة للجدلية كالهوية الذاتية والهوية العينية (ريكور، 2006: ص 20-21).

ثم إن الفكر في مسألة الذات تحكمه الصلة بين ذاته وغيره، ويمثل الحفاظ على الذات هنا شكل انعكاسي للإبلاغ عن نفسه، لنلتمس الثقة التي هي جزء لا يتجزأ مما تم وصفه للحماية الذاتية، في حين علامات الجسد تنتمي هي الأخرى للذات التي يملكها الأنا وفقا للسبل المستجدة للمسؤولية، لذا جعل ريكور اكتشافها في البراكسيس الفني يلفظ عين الذات غيرا، بالمعنى الجلّي أنها تمر عبر مسار الغيرية، لتتواتر إثر ذلك أدلة أكثر حميمية مع الإنية تحت لواء عنوان الضمير (ريكور، 2006: ص 21).

أما الوعي المرافق لكل الحالات الشعورية فيمثل أساس الهوية الذاتية، وإذا كانت مسألة الهوية تسمح بالقول عن شيء معين أنه يبقى نفسه، فإن هذا المعطى يلفظ ويدرك وفق طرق مختلفة ويتحدد وفق شروط وعوامل معينة. لذا تتخطى مسألة الهوية الحيز المنطقي والابستيمي الذي يقتضي ضرورة التطابق والتماثل، وبالتالي تظل حبيسة مبدأ الهُو هُو وتستلزم نحت دلالة وجودية تتسم بالاستمرارية وحفظ المعنى.

2-1- مفارقة تأويل الذات والرهان العبثي عند بول ريكور:

يقع الكثير من الفلاسفة والمناطقة ضمن كنف أشطان المفارقات Paradoxes، وهي إحدى النسخ العديدة لما يسمى عادة مفارقة الكاذب the Liar Paradox التي ابتكرها الفيلسوف الإغريقي "أبوليدس الملطي" Eubuildes إبان القرن الرابع قبل الميلاد، فالمفارقة مبرر يؤدي إلى تجاوز الاعتقاد للكلمة، وهي ذات أصول إغريقية فلفظ "para" تعني مفارق beyond، و"doxa" تعني اعتقاد belief، ومتى نجد مفارقة تكون الذات أمام خيارين، إذ يتضح الخيار الأول في قبول صحة النتيجة بالواقع وحتى إن كان ظاهرها لا يقبل التصديق، أما الخيار الثاني فيقصد رفض النتيجة وتفسير الخطأ الحاصل في الحجة التي تبررها (Ricoeur, 1998: p. 299).

من جهة أخرى يشير مصطلح العبثية Absurdism إلى النزاع الدائم بين الميول البشرية صوب البحث عن القيمة والمعنى المتأصل في الحياة، وكذا عجز الإنسان عن بلوغ أمر في عالم عبثي وغير عقلاني لا غاية له ولا معنى يتخلله في التصور الفكري لدى العبثيين، بحيث لا يعزى مفهوم العبث إلى الواقع المعيش ولا حتى إلى ملكة العقل، بل ينشأ العبث من الطبيعة والصفة المتناقضة للثنائي في الوقت نفسه، بالإضافة إلى ذلك تستلهم العبثية

من خلال مبادئها الفلسفية الطبيعة الأساسية لمفهوم العبث وكيفية إمكانية الأفراد إدراك حقيقة العبث، أي من حيث التجاوب مع هذه الحقيقة.

في هذا السياق يقر الفيلسوف العبثي ألبير كامو Albert Camus أن العبثية أكثر من طور في الحياة، فهي تمر بعدة مراحل في محاولة العثور على المعنى، ليدرك في النهاية أنه لا وجود لمرحلة أخيرة ومحاولة فهم وإدراك الحياة ما هي إلا إهدار للوقت، وبالتالي يجب الاستسلام والتوقف عن رحلة البحث عن القيم والإيمان بها، لأن الإنسان بدوره يخضع لتبني الحالة العبثية للوجود الإنساني.

لم تتطرق العبثية إلى وجود الإله من عدمه، ولكن تؤمن بأن أبحاث الإنسان منذ القدم تحاول الوصول إلى معنى الحياة يكون بلوغها إلى أن الحياة فارغة بدون معنى، أو أنها تخضع لهدف قوة عليا، وعند بلوغ النتيجة الأخيرة، يحدث إيمان الناس بالدين أو بالاعتقاد في حدود فهم مجرد. بمعنى الإيمان بأي شيء يفوق العبث سيكون مقترن بقبول ديني لاعقلاني، أو قبول ضروري لشيء آخر لا يخضع للتجربة، وهو ما يشار إليه باسم قفزة الإيمان Leap of faith (Ricoeur, 1998: pp. 299-300).

2- صورة الآخر وفكر الضيافة عند ريكور:

أجرى ريكور أبحاثا معمقة حول التراث، وهناك جملة مقالات ومحاضرات تعكس اهتمام الفيلسوف بهذا الجانب، لأنه كان عالقا بين العقل الهادئ والعنف الصاخب، ولم يكن ريكور فيلسوفا حبيسا في برجه العالي، ملتزما بتيار المسيحية الاجتماعية فحسب، بل أبان اهتمامه الكبير وانهمامه بالمسألة السياسية معبرا عن ذلك بالتعايش والديمقراطية والعدالة (Finkielkraut, 2013: p. 15).

فقد كان ريكور كثيرا ما يأخذ حذره من مخاطر التفكير الشامل والمجرد. لذلك فضّل شكل المقال الأكثر تلاؤما وتواؤما وتواضعا، فكانت كتاباته وإنجازاته قيمّة تتجاوز لحظة نشرها، فالقراءة الأولى انصبت حول السياسة التي تم نشرها سنة 1991، فأبانت رؤى ريكور الحاذقة والرائعة في دراسته السياسية.

لقد تمت بلورة الفكر السياسي للفيلسوف من خلال التقدم الدقيق والواعي، فشكّل إثر ذلك فسيفساء رائعة، إذ تجذب كل قطعة صغيرة على حدة فارقها الدقيق. فيحدث الوعي السياسي على نحو توتر للذات من حيث سلامة عقلها وانفعالها بالعنف، وبين تحملها للمسؤولية اتجاه الآخر ورضوخها للتعددية الثقافية وحتمية التعايش المشترك. ليستهل فلسفته بالسؤال اللاهوتي السياسي الذي يصرّح بمعتقده المسيحي ورفضه للتعبير البروتستانتي وتفضيله للتعبير المسيحي في عمومه كتعبير فلسفي خالص (Finkielkraut, 2013: p. 16).

وبالتالي طبق ريكور الاحترام لفصل الأنساق في المجال السياسي، ويتجلى ذلك في مقاله المعنون بـ: "مغامرة الدولة ودور المسيحيين"، إذ لا المسيحيين ليس معظم علاقاتهم مع الآخر متناقضة وو غالباً ما تكون لها أهمية لما تحمله من حكمة تواجه بها نظم الدولة، لأنهم ورثوا من العهد الجديد قراءتين للواقع السياسي، فجاءت أولى القراءات في "القديس بولس" التي تميل بدورها إلى التبرير المعقد، أما القراءة الأخرى فتمثلت في "القديس يوحنا"، باعتبار الدولة صورة القاضي بالنسبة للآخر أي صورة اللئيم المتمرد.

يدرس بول ريكور قواعد السلوك الإنساني من خلال هذه القراءات الابستيمية، لذا تجاوز بدوره أي سياسة مسيحية، نظرا لتعذر استنتاج سياسة قحّة من اللاهوت، لأن أي التزام سياسي بالنسبة له يشكل نقطة التقاء وتعاطف بين قناعة دينية أو ايتيقية بمعلومات عن شخص غير أخلاقي في الأساس، أو عن حالة تحدد مجالا

محدودا من الإمكانيات والوسائل المتاحة لخيار يحاذي الخطر، وهذا في الأصل لا يعكس صحة وسلامة السلوك البشري.

في هذا الصدد يقدم الفيلسوف "جان غروندين" شروحات ورؤى حول ريكور معتبرا إياه أنه يتصرف ويتحدث ويختبر تجاربه ووفاءه بالوعود، وهو تأمل لا ينفصل عن فكر الآخر في الغيرية لأن أقصر طريق من الذات إلى الذات ضروري أن يمر بالغير (Ricoeur: pp. 280-281).

هنا يمكن ربط الموضوعات التي خضعها ريكور بفعل التفكير في الإنسان القادر إليها، بحيث كل أفكاره كانت ترحب ترحيب الضيف بإمكانيات الإنسان وقدراته الفكرية (Ricoeur: p. 340).

هذا وقد انشغل بول ريكور حول النزاع القائم بين الروح النقدية للفلاسفة المعاصرين من جهة والإيمان بوقائع الأحداث في حياته اليومية من جهة أخرى، إلا أنه عايش حالة توتر ومعارضة، إذ نلتمس في الموقف التأسيسي للبوصلة السياسية التي من شأنها إعادة كل ما هو جاد ومن ثم تؤسس لفكر مضياف. وفي هذا السياق يمكن ذكر مفارقات بعض فلاسفة العصر الحديث مقارنة مع الفيلسوف المعاصر بول ريكور:

2-1- مفارقة الذات بين رونيه ديكارت وبول ريكور:

تتجلى المقاربة الديكارتية في كتابه "تأملات ميتافيزيقية" الذي عالج في متنه إشكالية الذات، فتبنى مقاربة تأويلية لمفهوم الذات من خلال "الكوجيتو" الذي حبس الذات في معزل عن عالمها الوجودي، معتقداً كل انتقال من الفكر إلى الوجود ما هو إلا تمركز ذاتي ، لا مجال للآخر فيه، ليصبح بذلك التفكير بحد ذاته فعلا تأويليا، هنا تدخل اللغة كوسيط بين الفكر والوجود، وهنا يكمن جوهر المشروع الريكوري الذي يدّب من التأويل بغية الوصول إلى الأنطولوجيا وليس العكس، لذا نجد كل مؤلفاته بداية من "نظرية التأويل" إلى غاية تفكيره في الذات، كانت بالنسبة له كنقطة بداية من التأويل إلى بحثه حول أنطولوجيا الذات وهو ما في آخر جزء من مؤلفه الشهير "الذات عينها كآخر" تحت عنوان: "نحو أي أنطولوجيا".

بمعنى يستهل ريكور أبحاثه الفلسفية من التأويل لا من الأنطولوجيا من أجل فك شفرات تلك العزلة الفردية، مما جعله أكثر تركيزا على طابع الشك، الشك الذي اعتمده تراث الفكر الفلسفي سالفا (Descartes: p. 26). كالشك الإرادي الذي اعتمد عليه "ديكارت" بغية الوصول إلى اليقين، وحتى عبارته الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود"، تم بلوغها عن طريق الأنا أشك التي هي حسب ريكور غير موجودة في كل المعالم الزمانية والمكانية، بمعنى ليست تاريخية بل محددة وثابتة، لذلك فهي تندرج في صف الهوية المماثلة /المطابقة (Descartes: p. 43).

إنّ عملية التفكير حسب ريكور غالبا ما تطرح مشكلة هوية الذات الفاعلة، إذ تصبح هوية محددة دقيقة لا تاريخية للأنا الفاعلة في تنوع عملياتها وممارساتها، ما يعرف بهوية الـ "عينه"، التي تتملص من سيرورة تناوب الدائم والمتغير، الثابت والمتحول في الزمن (ريكور، 2005: ص 78).

أما "الكوجيتو الديكارتي" حسب ريكور فهو مؤقت تغيب عنه الديمومة المستمرة، نظرا لليقين الذي سعى لتأسيسه دون أن تخرج الأنا المنغلقة من ذاتها، ولفك هذا الانغلاق الذي يجعل من اليقين حقيقة ذاتية، اعتمد ديكارت البرهان على وجود الله كما جاء في التأمل الثالث من مؤلفه: "تأملات ميتافيزيقية"، غير أن هذا البرهان والدليل في اعتقاد "ريكور" يقلب نظم الاكتشاف إلى حد بعيد..

فالكوجيتو كما جاء في التأمل بالذات إلى التأمل في الله والطبيعة. (Ricoeur, 1990: p. 19).

وبالتالي ما كان أولا يصبح لاحقا، وهنا تكمن هشاشة يقين الكوجيتو، فكانت نقطة التصدي التي أحدثها ريكور للذين أعطوا الأولوية لتأسيس الكوجيتو على مسألة الإله، وهو ما سيتخذ أبعادا بنيت على إثرها أنساق فلسفية جديدة فيما بعد، فبالنسبة لأولوية الكوجيتو فقد أسست عليها فلسفات الذات بداية من جون لوك في اتجاه كانط وهوسرل، أما عن أولوية الإله فنجد مالبرانش و"اسبينوزا، إذ أثر هذا الأخير في فكر ريكور وجعله ينحاز إلى تيار أولوية الإله، ويعبر عن ذلك في قوله: "إن اسبينوزا بهذا الصدد يعتبر الأكثر صلابة وتماسكا في كتابه الإيتيقا، إذ خطاب الجوهر اللامتناهي هو الوحيد الذي يحظى بقيمة التأسيس، لأن الكوجيتو لا يتراجع إلى مرتبة دونية فحسب، إلا أنه يفقد صيغة المتكلم" (Ricoeur, 1990: p. 21). ليصبح هذا التفضيل حسب ريكور ناتجا عن هذا "الجوهر اللامتناهي" الذي له القدرة للحفاظ على كينونته ويبقيه قيد الحياة.

2-2- مفارقة الذات بين جون لوك وبول ريكور:

قد تصدى "جورج باركلي" لمفهوم الهوية المجرد معتبراً اياه صادراً عن المعنى المتداول ويعزى من ناحية الإدراك إلى المنظور المشترك للتجارب الحسية، وبالتالي يتضح أن المفهوم الفلسفي للهوية مجرد وغير مفهوم يعتريه اللبس والغموض ويفضي إلى مفاهيم الانفراد من حيث حدود الفكر، ومجالات الاختلاف وعدم الاتفاق بين أفكار الفلاسفة، إذ محاكاة الواقع ومعالجة سؤال هوية الأفراد يعتبر أنجع السبل لبلوغ الغاية المنشودة.

ويعود الفضل في هذا الحقل المعرفي إلى جون لوك الذي أعاد النظر في مفهوم الهوية خارج الحيز المنطقي، وفي قلب بواطن الإنسانية وإثارة المفارقات التي تهز يقين محاولة كل ذات تثبت هويتها بنفسها (Pascal, 1994: pp. 161-164).

كما يتجلى إشكال الهوية الشخصية ضمن مسألتين، بحيث يتعلق الطرح الأوّلي لها بمعرفة تدارك الشخص للمفاهيم الخاصة بها، وكذا ما تمثله في الجانب التاريخي والسيرة الذاتية التي تراكمت حول نفسه، أما الثانية فتعلقت بمعرفة الخصائص التي تجعل الشخص مطابقاً لذاته أو لغيره خلال لحظات متباينة في الزمن.

أقام الفيلسوف "جون لوك" تحليل لمفهوم هوية الذات من حيث كونها عبارة عن مفهوم الوجود الذي به حس الوعي فبلغ أفكار مميزة وإدراكات ذات أهمية سواء على مستوى ذات الشخص الأول أو على مستوى الأنا على نحو عكسي، ليدرك بذلك أن الوعي هو معيار أو مناط كافٍ وضروري حتى تتبلور على إثره الهوية الذاتية، بمعنى الإنسان حتى يبلغ ذروة وعيه بوجوده الفعلي وبوجود غيره ينبغي مراعاة إن كان ذلك يتسنى له الإقرار بمدى تطابق أو توافق ذاته مع غيره. كما قد أضاف لوك أمراً آخراً عندما استدعى الذاكرة معتبرا إياها معيارا حاسما في عملية تأسيس وبلورة الهوية الذاتية، مستدلا على ذلك بالإشارة إلى الوعي بحيث لا يكون وعيا في الزمن الحاضر، بينما يتصل كذلك بالأزمنة الماضية التي عايشتها الذات. فبهذا الشكل ترتكز هوية الذات حسب لوك بصورة مباشرة على مستوى الذاكرة، أي تتحدد وتتقيد وفق معيار بسيكولوجي وليس معيار فزيائي (ريكور، 2005: ص 268-269).

إذن ضمن حقائق الأمور وصحتها حسب لوك لابد من الإذعان للتمييز بين طبيعة أو هوية الذات ومعيار وعي الذاكرة، لأن ليس هناك معطى تكويني لهوية الشخص أو لحضور الوعي في العالم الأنطولوجي، إلا أن

موقع جون لوك حسب القراءات المعاصرة يظل ضمن النزعة الاختزالية للهوية الذاتية لأنه بقي يجوب ضمن عدة صعوبات وتناقضات وتحديات لا مخرج له منها.

كما أن في حال ارتباط معيار الهوية بالذاكرة فإن الشخص يكون مغيّب عن الوعي لا يتذكر ماضيه ، فيصبح شخصا مختلف، فتصبح بذلك الذاكرة بالنسبة للهوية الذاتية عند الوقوع في الخلط بين الذاكرة والذكرى منجية للذات بهويتها الشخصية إن لم تكن قد ساهمت في تأسيسها (ريكور، 2005: ص 270).

2-3- مفارقة الذات بين إيمانويل كانط وبول ريكور:

ثمة فلسفات عظمت الذات وجعلت منها اللبنة الأساسية الذي يبنى عليها كل يقين، كالنموذج الكانظي للأنا أفكر، إذ يقر أن "الأنا أفكر" عليها أن ترافق كل تصوراتنا، ويعبر عن ذلك في قوله: "الأنا أفكر لابد أن تكون قادرة على التلازم بصورة جلية مع جميع التمثلات" (كانت، 2013: ص 203). باعتبارها مبدأ توحيد المعرفة، ومهام الأنا أفكر هنا يكمن في توحيد مختلف التمثلات التي تأتي من العالم الخارجي، ولن تكون لها حسب كانط القدرة بأكملها أن تصبح تمثلات أنا الآخر، وحتى إن لم تدل كلها على الوعي بالذات، إلا أن "الأنا المفكرة" مع ريكور ليس لها صلة مع الشخص الذي نتكلم عنه، ومع الأنا الأخرى المتعلقة بكل حوار أو خطاب، أو مع هوية أي شخصية تاريخية، أو حتى مع الذات التي تتسم بروح المسؤولة، بمعنى هي "أنا" تكمن غايتها الابستيمية في توحيد الشتات الذي يأتي من عالمها الخارجي، وليس من خلال تأسيسها لعلاقة مع غيرها، بغية تفادي واقعة الحدث حول كل ما هو أنثروبولوجي، إذ يعتبر وعيها بذاتها وعيا محضا لا حاجة له للآخر كي يثبته ويبرره، وهذا دليل استجابة للضجة والثورة العلمية التي أحدثها العالم الفزيائي نيوتن (1642–1729) عند جزمه بالتوحيد بين قوانين السماء وقوانين الأرض في قانون الجاذبية الذي اخترعه.

إذن تكمن غاية التوحيد هنا في مهمة الأنا المفكرة الكانطية، ولنتفادى الخلط والدمج بين الأنا والذات يقترح ريكور تمييزا مهما لهذا الثنائي، بمعنى القول بالذات لا يعني القول بالأنا، لأن الأنا توضع وتخضع للثبات، في حين الذات توجد ضمنيا بشكل تأملي ضمن عمليات تحليلها، فيتم تسابق العودة إلى الذات عينها. (ريكور، 2005: ص 96) لذا تثبت الأنا الكانطية أنها مفترضة، وتصبو إلى توحيد المعرفة التي يتم الحصول عليها من العالم الخارجي، أما الأنا الديكارتية فتكمن غايتها في التأسيس الفلسفي لما أبانت عنه وصرحت عليه علوم عصرها أنداك.

أما الذات من منظور ريكور فحاضرة بصفة دائمة في رحلة البحث والتنقيب عن نفسها، إذ أنها تستحضر أبعادا وسيطة مختلفة عبرت عنها في زمن مضى، ويعبر عن ذلك في قوله: "إن الذات في جانبها المعرفي الذاتي لا تعني تلك الأنا الأنانية التي قال بها فلاسفة الريب، بالإضافة إلى جوانب ذات الأيديولوجيا، أو الذات الشغوفة بالمعرفة على أنها ثمرة الحياة التي أينعت وامتحنت بالعناء". فالذات بهذا المقصد تزج في سيرورة الحياة وما يكتنفها من شقاء ومعاناة، يجعل منها تشهد مأساة وتراجيديا وليست تلك التي يراودها الشك كما عبر عنها ثلاثي فلاسفة الريب نيتشه وفرويد وماركس (ريكور، 2006: ص 372). هذا وقد اعتبر ريكور أن الظروف والسياقات الفلسفية تمخض عنها تصورٌ مستجدٌ لمفهوم الذات، وهو يختلف عمَّا أبان عنه ديكارت، ويضرب في العمق كل الفلسفات التي قالت بتعالي قيمة الوعي المباشر للذات، وعظمت حب الذات على نحو نرجسي فظيع، مستحضرا في ذلك عبارة فرويد القائلة: " قد شهدنا ثلاثة ضروب قاسية من الإذعان والإذلال وذلك من ناحية العلم، وحتى

إن كان الإذلال أولى الأمور كموقع نزل الأرض الرئيسي الذي اعتبره الإنسان ضمانا لدوره الوظيفي في الحياة وظهر له أنه منسجم تماما مع ميوله إلى أن ينصب نفسه سيدا الكون، ثم كان الإذلال الآخر ذاك الذي تناول زعمه أن ينسب إلى ذاته موضعا سائدا على بقية الكائنات في مملكة الأحياء وتنقيب الهوة والثغرات بين طبيعته وطبيعتهم، أما الإذلال الأخير فتناول اقتناعه أنه سيد مأواه النفسي والحاكم المطلق، ويمثل التحليل النفسي هذا الإذلال الأخير وربما يعتبر الأقصى بين ضروب الإذلال المفروضة بإكراه على النرجسية" (ريكور، 2003: ص 353).

فبالتالي إذا كانت غاية الفلسفة الديكارتية حسب ما قالت بها التأملات تكمن في تأسيس فلسفة تتماشى مع النظريات الفيزيائية والفلكية الحديثة، لأن بمنظور فرويد هذا العلم بدوره أهان قيمة هذا التأسيس، بحيث تمثلت أولى الإهانات في الصدمة الكوسمولوجية من طرف العالم كوبيرنك الذي أزاح الإنسان من مركز الكون واصطفاه إلى هامشه، كذلك الصدمة البيولوجية من طرف العالم داروين الذي جعل الإنسان لا يتميز عن بقية الكائنات لأنهم يشتركون في منبت الأصل، في حين مثلت الصدمة النفسية أبشع الإهانات التي تتلقاها الذات الإنسانية، بحيث وعيه لا يمثل إلا كتلة جليد فيما بقي منه في ساحة اللاوعي، مما جعل الأنا لا تنظر للأمام فقط، بل ما يؤسس هذه الأنا يكمن في العودة إلى ماضيها الغابر وعقدها الذي شكّل هويتها على مر الزمن، كما تكمن عودة ريكور إلى فرويد باعتبار هذا الأخير مؤسس التحليل النفسي.

من جهة أخرى أيضا نجد مؤلف ريكور الذي جاء بعنوان: "صراع التأويلات" تناول في أحد محاوره فكر هايدجر ومسألة الذات، وقد أشار ريكور في تحليله إلى قصد هايدغر بالسؤال عن الكينونة، بمعنى يكون تاريخ الفلسفة غالبا تساؤلا عن الموجود، في حين سؤال الوجود قد تم تناسيه من طرف الفلاسفة منذ أرسطو، وهي أولوية إذ لابد الفهم من الأنا الأصلية أي ذاتية ابستيمولوجية خالصة، بمعنى فهم الأنا التي تسأل دون أن تكون هذه الأنا هي المركز، لأن هناك قضايا أخرى من شأنها تجديد روح خطابها حوله. (ريكور، 2005: ص 271-272).

3- المفارقة السياسية والضرورة الايتيقية مع ريكور:

المفارقة السياسية مفهوم ابتكره الفيلسوف الفرنسي بول ريكور، ويعني به أن العمل السياسي يتكون من عنصرين كلاهما نقيض الآخر، إذ يتمثل العنصر الأول في تحقيق السلم والوئام بين أفراد المجتمع الواحد، أما العنصر الثاني فهو الوسيلة التي يتم من خلالها تحقيق الغايات ويحدث بالقوة والإكراه، أي قوة السلطة الحاكمة المتمثلة في المؤسسات العسكرية والأمنية، لأن ضمن هذا السياق يجب التفريق بين ما هو سياسي أي ما يتعلق بالدولة ومؤسساتها الحكومية، وبين المهام السياسي من جانبه البراكسيسي الذي يعني فن الحكم من خلال النظم الديموقراطية وصولا إلى السلطة. لأن الأساس الجوهري الذي تقوم عليه أية علاقة بالسلطة يكمن في القيادة السياسية والاستجابة الشعبية لها (Ricoeur, pp. 340-341).

ثم وحتى تسير الأمور بشكل سلس لتحقيق الأهداف المنشودة التي تقصدها السلطات السياسية، تلزم منطقيا رجل السياسة بتوضيح الفرق بين ما هو خاص وما هو عام، بمعنى لا يكون هناك تداخل بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، بل وحدها الأنظمة الديكتاتورية تدمج بين الأمرين، فمن خلال ذلك وضعت الأنظمة

الديموقراطية وسائل المحاسبة وطرق المراقبة حتى لا تضيع ولا تصاب بالتيه تلك المصالح العامة في دهاليز المصالح الخاصة.

ولو تم تفحص عن كثب سلوكيات رجال السياسة، نجد أن معظمهم يتخذون من السياسة مهنة للكسب والثراء، إذ كل من اقتحموا هذا الميدان جعلوا مصالحهم الخاصة تعلو على المصالح العامة للدولة، والانهيار في المجال الاقتصادي والمالية العامة وضياع أموال المودعين في المصارف البنكية، لم يكن هناك من يتحمل مسؤولية الخضوع للمحاكمة وإنصاف العدالة، وكأن الذي حصل ما هو إلا قضاء محتوم وليس فعل فاعل تم تأسيسه لمقصد معين (Ricoeur: p. 298).

هنا يجدر الوقوف عند بول ريكور بعد فقدان البوصلة والتوجه من طرف الفاعلين السياسيين والوقوع في سوء الحوكمة، ناهيك عن تراجع القيمة المضافة للنقاش العمومي في الفضاء العام وضياع قيم الحرية مع تشقق التوافق الفكري والثقافي وتصدّع الفضاء العمومي، الذي أدى بدوره إلى انتصار منطق الفردانية بالرأي وممارسة السياسة العليا، مع تصويب السلوكيات وتكريس السياسة الليبرالية في نسختها المحافظة الجديدة ومضاعفة المديونية بواسطة الاقتراض البنكي.

3-1- مفارقة الذات بين فريديريك نيتشه وبول ريكور:

يعتبر الإشكال المحوري الذي تضمّن مؤلف ريكور الشهير "الذات عينها كآخر"، سواء من حيث الخطاب الفلسفي أو في جدليتها مع الهوية المماثلة، أو من ناحية علاقتها مع الآخر التي اتخذت بعدا إتيقيا، بمثابة هاجس التأسيس الذي لم يعد مطلب الذات الريكورية، نظرا لبروز تيارات فلسفية عالجت الذات من زوايا ورؤى متعددة، مما جعلها تستحضر البعد التاريخي عبر حقبه المختلفة ووفق تصورات تتغير باختلاف مرجعيات كل فيلسوف على حدة، وهو سيان ما جعل ريكور يستحضر المواقف التي شنّت حربا كلامية لاذعة على الكوجيتو.

كما نلتمس دعامات هذا القول مع نيتشه من خلال اعتباره أن الأنا مقترنة بالجسد وبالإرادة الحية، أما العقل فلا يغدو أن يكون إلا وسيلة الفرد للبقاء، أي أداة ونهج محكم لضمان الاستمرارية في الحياة.

مما جعل بول ريكور يبحث عن ما آل إليه نيتشه في مسألة الذات، فكانت سبر أغوار هذا التمحيص بداية من كتاب نيتشه بعنوان "ميلاد التاراجيديا"، الذي عبر فيه عن الأسلوب النبيه بلغة هايدغر ألا وهو "الفن"، وذلك من خلال الأبولونية والديونيزوسية، في حين نجد تأويل ريكور يعبر عن مواجهة صريحة للكوجيتو الديكارتي الذي كان من خلال نصوص "دروس الخطابة" ثم كتاب "الحقيقة والكذب" بالمعنى المغاير والمختلف عن الأخلاق، ليتضح هنا مدى مفارقة اللغة المجازية على أنها كلها كاذبة، والتي بها سيحاكم في ميزان النقد ادعاءات الكوجيتو الديكارتي، بل هو ما جعل نيتشه ذاته يقع في مفارقة الكاذب!

ذلك لأن الخطاب الفلسفي النيتشوي حول الحقيقة ككذب، سيقع في هاوية مفارقة الكاذب، ونظرا لإدراكه بهذه المفارقة القصدية، دفع ريكور إلى القول بـ: "أن وجهات نظر نيتشه الموجهة ضد الكوجيتو بإمكانها أن تؤول كامتداد ضد الكوجيتو ذاته لحجة ديكارت حول الروح الخبيثة، .(Ricœur, 1990: p. 23)

أما الأنا التي مجدّها ديكارت معتبرا أن فعل التفكير يحكم كل الأفعال، فيراه نيتشه مجرد خيال لا علاقة له بطبيعة الإنسان، بل يخفي الغرائز الطبيعية ويعرضها وفق نظام يحمل نمطا سببيا، كما يعتبر الأنا ذاتها نتاج هذا

التأويل السببي نحوية لا غير، لذا كان اعتقاده ريبيا أكثر من ديكارت، ليتضح أن مقاربة الذات لابد أن تمر دائما عبر هذا المسار من المؤيد إلى المعارض كي يحدث الاقتراب أكثر من الذات (Ricoeur, 1990: p. 27).

إلا أن هذه السبل حول الانشغال بالذات مع ريكور ليست كفيلة بدراستها، ولعل هذا ما يقصده في قوله: "الواقع الاجتماعي المعيش هو المسؤول عن تحديد وعي الأفراد وليس العكس"، وبالتالي أمام هذا المد العارم المتنكر كليا للذات الفاعلة، بات الأنا يناضل ضد جرحه النرجسي لعله يخرج منه سالما ويغدو منتصرا، ولأجل الترفع والتجاوز لهذا الاستلاب النرجسي، لابد من الخضوع إلى المقاربة الهرمينوطيقية، لأنها تأخذ في الحسبان كل المعطيات المستجدة في العلوم الإنسانية من لسانيات علوم لغة، وعلم نفس...، لذا فمعالجة الذات حسب ريكور لا تكون إلا باعتماد اللغة والعودة الدائمة إليها (Gisel, 1970: p. 777).

إن هذا المفهوم يقتضي بدوره التأويل والفهم والتفاهم، لأنه عبارة عن تحاور مع النص، فالنص معطى مكتوب ويدرج ضمن الأفعال البشرية التي لها تاريخ فردي وجماعي لذلك، لأن فهم الوقائع الإنسانية يتأسس انطلاقا من النصوص السردية والمقروءة، إذ يتجلى أن التأويل والفهم يشملان وقائع الحياة برمتها وأيضا حضور الذوات الإنسانية في هذا العالم، وقد سبق لنيتشه تأكيد هذه الفكرة في عبارته: "ليست هناك وقائع بل هناك فقط تأويلات"، ليضيف أن عملية الفهم المرتبطة بالتأويل هي عبارة عن حوار بين الذات والآخر، يتم على إثره إنتاج المعاني ويعتبر التأويل بهذا الشكل عملا لفكر تكمن غايته في إبانة المعنى المستتر وراء المعنى الظاهر وبسط مستويات الدلالة التي يتضمنها المعنى الجلي (الخطابي، 2016: ص 107).

ومن جهة أخرى تجدر الإشارة إلى النزعة الوجودية التي تصبح فيها صفة الإنسان كموضوع "Soi-même" والتي تعني "ipse" المشتق من الجذر اللاتيني Ipséité لوجوده، في هذه الحالة يحدث الوعي مع سارتر من خلال تلك المسافة التي تعكس عدم إمكان الالتقاء مع ذاتها، بمعنى أن يبرز الوعي فيما بعد، إنها الصدفة واللقاء مع الذات كإمكان راهني الحدث وذلك عن طريق توسط العالم وإمكاناته، بمعنى هذا الاكتشاف يعزز تعالي الذات في الوجود، ومن ثم في حضور الوعي وحريته ومسؤوليته، ما يسميه سارتر "بعطب الذاتية" (Blay: p. 453).

يميز بول ريكور التقليد الفلسفي الذي ينتمي إليه ويندرج ضمن فلسفة تأملية، بإمكانها فهم الذات كذات فاعلة من خلال الفكر التأملي، الذي هو عبارة عن الرجوع إلى الذات، ويعبر عن هذا كانظ في قوله: "إن الأنا المفكرة لابد لها أن تتمكن من مرافقة جميع تمثلاتي"، بمعنى أنها الصيغة والعبارة التي تتعرف فيها كل الفلسفات التأملية على نفسها (ريكور، 2001: ص 19).

3-2- مفارقة الذات مع ريكور:

إنه الأمر الذي جعل "بول ريكور" يكشف على مفارقات الهوية الذاتية، التي تشمل التقدم وصرح بأنها تعلمتها الفلسفة الإنجليزية والثقافة التحليلية عند جون لوك حينما حفظت المعادلة بين الهوية الذاتية والذاكرة وأدخلت الفكرة الغريبة على التنوع الثقافي ضمن تطابق الشيء مع ذاته.

كما أقر أيضا بالنظرة الداخلية دون الوقوع في الجوهر، وإحلال الذاتية بالموضع الذي كانت تحتله العينية منتهياً إلى أن الهوية تحافظ في مستواها على الاستمرارية والوفاء بالعهد للذات. إلا أن "لوك" لم يحتر على مستوى تماسك حجته، بل سجل التقليد الفلسفي لصالحه من خلال ابتكاره لمعيار الهوية الذي هو معيار الهوية

الذاتية، وقد أصبح بعد ذلك بإمكانه التعارض بمعيار الهوية الجسدية، إذ يسود دوام التنظيم لدرجة يمكن تتابع حيثياته من الخارج (ريكور، 2001: ص 19).

من جهة أخرى يتعذر طرح مشكل الهوية في خضم العلاقة بالإرادة من حيث هي الجوهر النفيس للذات، كما لا يمكن الرضوخ لشغل رهانات الوعي، بينما يجب على الإنسان البحث عنها وفق منحى متشعب لأن التحدي باعتبارها فرضية ضرورية بالنسبة للحياة في بعدها الأخلاقي والديني يتطلب الثناء والجزاء عن فعلها الخيّر، مع تحمّلها حس المسؤولية نحو أي سلوك لاأخلاقي، في حين يشير مفهوم الهوية في هذا السياق إلى العمل الذي تقوم به الذات بالاعتماد على السرد عبر تاريخها الحصري، بغية تكوين صورة عن النفس ذاتها لتشكّل الأرضية القصصية لإثبات إنيتها. لتصبح الذات إثر ذلك قادرة على إثبات ذاتها لأنها تسرد قصتها لغيرها، فتسمح للآخر بالتوسط في ثبات هويتها من خلال سرده لقصتها، ليأخذ بول ريكور مفهوم مغاير لمسألة الهوية من خلال مقاربة تأويلية للذات، إذ تأخذ مسار حركي ضمن المسار الذي أقامه أفلاطون في محاورة "السوفسطائي" ويصل إلى مقال هايدغر المعنون بـ "الهوية والاختلاف" وكتاب جيل دولوز أيضا المعنون بـ "الفرق والمعاودة" (Nicola, 2007: p. 678/705).

في هذا السياق جعل ريكور التساؤل عن الهوية يطرح ضمن العلاقة التماثلية التي تكتنف الأبعاد الماضية، وأدخل جون لوك إلى قلب المقاربة التأويلية، كما زجّ بالذاكرة إلى باطن الوعي، وقام بالانشغال حول مفهوم الهوية الذي اشتغل لوك، فلجأ للتصور الأفلاطوني والأرسطي وذلك وفق تصور أحادي للهوية وتمثل ابستيمي للماضي والحاضر (Etienne, 1992: pp. 287-299).

خاتمة:

نستنتج مما تم ذكره أن ديكارت من أوائل الفلاسفة الذين أحدثوا مفارقة بين الأنا الواعية والغير، نظرا لرغبته في العيش بعزلة ابستيمية رافضا الاستعانة بالغير، معتمدا على إمكانية الذات، نافيا حضرة الآخر كليّة، ليتصدى المقصد الريكوري ذلك بشدة في مسعاه الحثيث عند تأسيسه لمشروع هيرمينوطيقا الذات، الذي يروم به هو الآخر إلى توحيد شتات الذات المتأزمة وتحريرها من أسر الكوجيتو المبجل ما يعرف بالباديغم الديكارتي، ليقع هو الآخر في مفارقة تحذو بين غطرسة الذات عينها بنفسها لإدراك مكامنها، وبين اعترافها وانفتاحها على غيرية غيرها لتحقيق سلامة وعيها بذاتها والآخر الذي تعايش بحياتها..

أكدّ الكثير من الفلاسفة على فعالية الذات وأهميتها بحياة الآخر والعكس صحيح، وقد تمت الإشارة إليهم في متن الورقة البحثية في شكل نماذج، لنخلص إلى الفيلسوف المعاصر "بول ريكور " الذي أشاد مبدأ "الذات عينها كآخر" كبراديغم الاعتراف والعيش سويا.

كما أعاد ريكور صياغة مفاهيم الذات وإدراكها والتحقق بها عن طريق التواصل مع الآخر، الذي من خلاله يتم الفهم والتأويل لأن عند بناء علاقات إيجابية ترقى بالقيم الروحية وتتجاوز العنف والتقتيل والشر، يحيي تراثا قيما تلاشى إلى حد الضياع في ظل التقنية الحديثة والعقل الأداتي.

إذن ما يسعى لتحقيقه ريكور يكمن في ضمان حياة جيدة، أما العلاقات تكون مع الآخر القريب والبعيد داخل مؤسسات عادلة، وذلك بغية رد الاعتبار للذات الإنسانية الضائعة والتي ميعت مكانتها في زمن العبث

والاحتقار والعنصرية.. وقد كان هذا الاهتمام الريكوري من أجل التأسيس لقيم راقية يضمن سلامة التعايش مع الذات نفسها ومع الآخر ومن أجله أيضا.

من خلال هذه النتائج والاستنتاجات التي تم التوصل إليها يمكن ذكر أهم التوصيات فيما يلي:

- ضرورة تفعيل الفلسفة في اليومي المعيش وتقريب الذات من الآخر عن طريق التواصل، ولا يحدث ذلك إلا من خلال إعادة التفكير في مفهوم وقيم الانسان، وهو سيان ما عالجه " ريكور" في الدائرة الهيرمينوطيقية لسؤال الذات والغيرية معا في خضم مفارقة غير قصدية، يتم ترميمها ومعالجتها وتهذيبها.
- إدراك القيم الايتيقية التي يسعى إليها مقصد الاصلاح الريكوري بين الأنا والآخر من أجل تحقيق العيش المشترك وفق سلام دائم، أي على نحو ايتيقي خالص.
- الأخذ بأهمية مقاصد المشروع الريكوري حول اعتماد مبدأ التواصل الأخلاقي بين الذوات، لتحقيق مشروع الانسان المعاصر بغية حل الأزمة الأخلاقية.
- التحلي بالمسعى الريكوري الدؤوب ومشروعه الايتيقي الوجيه الذي يقضي على ظواهر الصراع والنزاع، وذلك بغية إحياء التراث الفلسفي القيمي ضمن واقع عبثي سيطرت عليه صراعات تقنية وسياسية.
- مدى إمكانية إنشاء تجربة مستحدثة للقيم الإنسانية، لأنها تترفع المفارقة الريكورية من ضرب التناقضات أمام مقاصد هذه الأخلاقيات التي يهدف الاصلاح الريكوري تحقيقها، مما يعزز ضرورة استئناف التفكير الفلسفي الريكوري حول ثنائية الذات والآخر في خضم واقع الرهان العبثي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

1- بول ريكور (2005)، الذات عينها كآخر، ترجمة: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت.

2- بول ريكور (2006)، بعد طول تأمل، ترجمة: فؤاد مليت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت.

3- ايمانويل كنت (2013)، نقد العقل الخالص، ترجمة: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت.

4- بول ريكور (2006)، الزمن والسرد – الزمن المروي. الجزء الثالث، ترجمة: سعيد الغانمي، دار الكتاب المتحدة الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت.

5- بول ريكور (2003)، في التفسير– محاولة في فرويد–، ترجمة: وجيه أسعد، دار أطلس، الطبعة الأولى، دمشق.

6- بول ريكور (2005): صراع التأويلات "دراسة هيرمينوطيقية"، ترجمة: منذر عياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، بيروت.

7- عزالدين الخطابي (2016)، الفلسفة السياسية بين التنظير والممارسة، إفريقيا الشرق، بدون طبعة، المغرب.

8- بول ريكور (2001)، من النص إلى أبحاث التأويل، ترجمة: محمد برادة وحسن بورقية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة.

9- حاتم الورفي (2009)، بول ريكور الهوية والسرد، دار التنوير، بدون الطبعة، لبنان.

10- حسن بن حسن (1992)، النظرية التأويلية عند بول ريكور، ج تنسيفت، الطبعة الأولى، المغرب.

2- باللغة الفرنسية:

1- Paul Ricœur (1990), Soi-même comme un autre, édition du Seuil, Paris.
2- Paul Ricœur (1998), Penser la mémoire, édition du Seuil, Paris.
3- René Descartes, Méditation Métaphysiques, traduction: Florence khodoss, Paris.
4- Pierre Gisel, Le conflit des interprétations – in Esprit, Novembre 1970.
5- Michel Blay, Des Concepts Philosophiques, LAROUSSE, CNRS.
6- Engel Pascal (1994), Introduction à la philosophie de l'esprit, édition de la découverte, Paris.

الرقم التسلسلي للمعيار الدولي (ISSN): 1111-4932، الرقم (EISSN): 2352-9865

7- Monseau Nicola, l'identité entre phénoménologie de la mémoire et éthique de la reconnaissance selon Paul Ricœur, in Revue Philosophique de Louvain, n°4, novembre 2007.
8- Balibar Etienne, L'invention de la conscience. Descartes, Locke, Coste et les autres, dans traduire les Philosophes, Actes des Journées d'études organisées en 1992.
9- Engel Pascal (1994), Introduction à la Philosophie de L'esprit, édition de la Découverte, Paris.
10- Locke Jean (1998), Identité et différence. L'invention de la conscience, présentée, traduit et commenté par Etienne Balibar, édition du seuil, Paris, collection Points.
11- Paul Ricœur, Politique économie et société, édition Seuil, Paris.
12- Paul Ricœur, Penser la mémoire, édition Seuil, Paris.
13- Alain Finkielkraut « Paul Ricœur, un homme de bien », Réforme numéro spécial, n° 3502, 28 février 2013.
14- Alain Finkielkraut « Paul Ricœur, un homme de bien », Réforme numéro spécial, n° 3502, 28 février 2013.
15- Paul Ricœur, Politique économie et société. Écrits et conférences, volume 04, édition Seuil, Paris.

الرقم التسلسلي للمعيار الدولي (ISSN): 1111-4932، الرقم (EISSN): 2352-9865